

المقاصد القرآنيّة والقرآنيّة الواردة في قول الله تعالى:  
(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)  
دراسة تطبيقية.



د. ولاء بنت عبد الرحمن بن محمد البرادعي  
الأستاذ المشارك بقسم القراءات  
كلية الدعوة وأصول الدين . جامعة أم القرى

— المقاصد القرآنيّة والقرائيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

عنوان البحث: المقاصد القرآنية والقرائية الواردة في قول الله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) [النساء:1] دراسة تطبيقية.

ويهدف البحث إلى بيان أهمية علم المقاصد ومفهومه، وبيان أثر اختلاف القراءات في استخراج المقاصد القرآنية منها، والتي تضمّنتها الآية الكريمة، والاسترشاد بما فيها من مقاصد متنوّعة.

وتناول البحث نمودجا من الآيات الواردة في موضوع صلة الأرحام، مشتملا على مبحثين، المبحث الأول في التعريف بالمفردات التي تناولها البحث، المبحث الثاني في دراسة المقاصد القرآنية الواردة في قول الله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) [النساء:1] دراسة تطبيقية، ضمنّت مطالبه التعريف بالمناسبات الواردة في الآية وتفسيرها وبيان معناها الإجمالي، ثم ذكرت القراءات القرآنية الواردة في الآية وتوجيهها، وختمت المبحث ببيان أبرز المقاصد القرآنية والقرائية الواردة فيها، مستعينة في ذلك بالرجوع إلى أغلب كتب التفاسير، وإعراب القرآن، والتوجيه؛ لاستخلاص أبرز المقاصد القرآنية الواردة فيها، وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي في فهم النصوص وتوظيفها؛ ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

\_ أهمية مجال استنباط المقاصد القرآنية، حيث إنه مجال واسع، لا يمكن حصره؛ لأنه متعلق بالقرآن العظيم؛ الذي هو هداية البشر في جميع أمورهم.

\_ إنّ القرآن الكريم بتعدد آياته في الموضوع الواحد، وتنوع قراءاته فإنه يستوعب كل أنواع الصلة والأرحام بين الناس جميعا.

الكلمات الافتتاحية: المقاصد\_ القرآنية\_ القرائية\_ الأرحام.

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا للإسلام، وأنعم علينا بنعمة الإيمان، وخصنا بالقرآن ﴿تَيْنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89] والصلاة والسلام على نبينا المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد. إن القرآن الكريم يهدي من تدبره للتي هي أقوم، جعله الله مباركا، وأمرنا بتدبر آياته؛ ليكون مرجعا للتلاوة والعمل، لا تنقضي عجائبه، ولا تفي فوائده ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّذَبْرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29].

وإن استخراج المقاصد القرآنية لهو ثمرة تدبر القرآن الكريم، فمن اهتدى بها كان من أفضل الناس علما وعملا، فهو خير ما اشتغل به الدارسون، وأنفع ما عني به الباحثون.

وقد تنوعت موضوعات آيات القرآن الكريم، ولا يكاد يخلو موضوع منها إلا وللقراءات أثر بالغ في معناها، وكان من أبرزها آيات صلة الأرحام، والتي تنوعت فيها المقاصد القرآنية، فمن هذا المنطلق وبعد الاستعانة بالله تعالى رأيت أن أتناول في هذا البحث المقاصد القرآنية والقرآنية الواردة في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء:1]

والله أسأل التوفيق والسداد، وهو المستعان وعليه التكلان.

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

- كون الدراسة متعلقة بكتاب الله عز وجل، وهذا مما يُكسب الموضوع أهمية عالية.  
- توظيف القراءات في شتى موضوعات القرآن الكريم؛ وخاصةً وجوه استنباط المقاصد القرآنية.

- الوقوف على مظان المقاصد القرآنية الواردة في الآية من خلال المصادر العلمية المعتمدة من كتب القراءات، والتوجيه، والتفسير.

## الدراسات السابقة.

بعد البحث والتحري عبر الكتب والمواقع الالكترونية لم أجد بحثاً تناول هذا

— المقاصد القرآنيّة والقرائيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

الموضوع؛ إلا أنني وجدت بعض البحوث والمقالات شبه المتعلقة بالموضوع، وهي عبارة عن مواضيع عامة تتناول صلة الرحم في الإسلام بشكل عام ونحو ذلك.

### هيكل البحث:

أما هيكل البحث فقد قسمته إلى مقدمة ومبحثين.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وهيكل البحث.

المبحث الأول: مدخل تمهيدي للبحث، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مفهوم المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: مفهوم القراءات القرآنية.

المبحث الثاني: المقاصد القرآنية والقرائية الواردة في قول الله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) دراسة تطبيقية.

المطلب الأول: المناسبات الواردة في الآية.

المطلب الثاني: التفسير والمعنى الإجمالي للآية.

المطلب الثالث: القراءات القرآنية الواردة في الآية وتوجيهها.

المطلب الرابع: المقاصد القرآنية والقرائية الواردة في الآية.

ثم الخاتمة وبيّنت فيها أهم النتائج.

### المبحث الأول

#### مدخل تمهيدي

المطلب الأول: مفهوم المقاصد القرآنية

المقصد في علم اللغة: من القصد، وهو: استقامة الطريق، وإتيان الشيء، والأصل قصده قصداً ومقصداً<sup>(1)</sup>، وجاء في لسان العرب: "قصد: استقامة الطريق.

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة: قصد 95/5.

قصد يقصد قصداً، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]، أي: على الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ﴿وَمِنْهَا جَايِرٌ﴾ [النحل: 9]، أي: ومنها طريق غير قاصد، وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب.

وفي التنزيل العزيز: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: 42]، قال ابن عرفة: "سفراً قاصداً، أي: غير شاق، والقصد: العدل"<sup>(1)</sup>، وقد جاء لفظ (قصد) في ستة مواضع في القرآن الكريم، وهي كالتالي:

- (اقصد) في قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: 19]، أي توسط فيه، والقصد: ما بين الإسراع والبطء.

- (قصد) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ﴾ [النحل: 9] أي على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو البيان. والسبيل: السلام، أي على الله بيانه بالرسول والحجج والبراهين، وقصد السبيل، استعانة الطريق، يقال: طريق قاصد، أي: يؤدي إلى المطلوب، ﴿وَمِنْهَا جَايِرٌ﴾ أي: ومن السبيل جائر، أي عادل عن الحق فلا يهتدى به.

- قاصداً في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: 42] أي سفراً سهلاً معلوم الطريق.

- مقتصد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى آلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: 32] أي عدل في العهد.

- مقتصد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: 32] أي ملازم للقصد، وهو ترك

مقتصدة في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: 66] أي منهم قوم لم يكونوا

(1) ينظر: لسان العرب، مادة قصد 3-353.

## — المقاصد القرآنيّة والقرآنيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

من المستهزئين، والاقتصاد الاعتدال في العمل، وهو من القصد، والقصد إيمان الشيء، تقول: قصدته وقصدت له وقصدت إليه بمعنى.

"ومواقعها في كلام العرب الاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعاً" (1).

وأما المعنى الاصطلاحي للمقصد: فله معان متعددة منها: الغايات، ومنها الأسرار. وقد عرفها الإمام الفاسي بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" (2).

وعرفها الدكتور عبد الكريم حمادي بتعريف جامع بقوله: "أما المقاصد العامة فهي تلك الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن"، وقد أدرج فيها المعاني العامة للشريعة "التي هي المعاني الملحوظة في جميع القرآن أو معظم أحكامها" (3).

فأما البغوي فقال في مقدمة تفسيره معالم التنزيل واصفاً ما جاء في القرآن الكريم من الهدى والفلاح: "أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليُنذَرَ، وقَصَّ عن أحوال الماضين ليُعْتَبَر، وضرب فيه الأمثال ليُنذَرَ، ودلّ على آيات التوحيد ليُنْفَكِر، ولا حصول لهذه المقاصد إلا بدارية تفسيره" (4).

أما الدكتور أحمد الريسوني فقد عرف مقاصد الشريعة: بأنها الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد (5) ومقاصد القرآن: (الأسرار والحكم والغايات التي نزل القرآن لأجل تحقيقها جلباً للمصالح، ودفعاً للمفاسد، وهي واضحة في جميع القرآن أو معظمه) (6).

وهذه التعريفات في جملتها تدور على كون المقاصد تمثل مراد الله في أحكامه وتشريعاته القرآنية والغايات التي نزل القرآن لأجل تحقيقها مما فيه مصلحة للعباد في المعاش والمعاد، وهي القواعد والدلائل الواضحة التي نزل بها الوحي، وتبينت للناس،

(1) لسان العرب، مادة: قصد (353/3). وينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص545).

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص (7).

(3) مقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة ص (9).

(4) معالم التنزيل (33/1).

(5) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (7/1).

(6) دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن عند ابن عاشور، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة، العدد الرابع، سبتمبر (2012م).

ووضّحت معالمها وأوامرها أيًا كان نوعها في العقيدة، أو المعاملات، أو الأخلاق. واستخراج المقاصد القرآنية من آيات القرآن الكريم لها أهمية بالغة؛ حيث إنها تساعد على فهم المعنى، واستنباط الدلائل المتنوعة، وهي المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح بلا زيادة ولا نقصان ولا إفراط ولا تفريط. وإن معرفة هذه المقاصد العامة واستحضارها عند قراءة القرآن الكريم وتدبره، تمكّن قارئه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله، وقصصه، ووعدته، ووعدته، ولكل آية، وكل لفظ، وكل حكم ورد فيه.

### المطلب الثاني: مفهوم القراءات القرآنية

**القراءات لغة:** جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ، وقرأت الشيء، أي: جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، قال ابن الأثير: كل شيء جمعته فقد قرأته، وسمى القرآن قرآناً؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد(1). وقال الرازي: قرأ الكتاب قراءة وقرأنا بالضم، وقرأ الشيء قرأنا بالضم أيضاً جمعه وضمه، وقوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17]، أي: قراءته، وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى(2).

**وأما تعريف القراءات اصطلاحاً** فقد عرفها جماعة من الأئمة، ومن أبرز التعريفات ما يلي:

- تعريف أبي حيان الأندلسي فقد عرفها بأنها: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"(3).

- تعريف بدر الدين الزركشي، قال: "القرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كفيّياتها من تخفيف وتنقيل وغيرها"(4).

- تعريف ابن الجزري، قال: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله"(5).

- تعريف عبد الفتاح القاضي، قال: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية،

(1) ينظر: النهاية في غريب الحديث (30/4).

(2) مختار الصحاح ص (220).

(3) ينظر: البحر المحيط (14/1).

(4) البرهان في علوم القرآن (318/1).

(5) ينظر: منجد المقرئين ص (3).

— المقاصد القرآنيّة والقراييّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه إلى ناقله<sup>(1)</sup>، فمنهم من يسمى نقله قراءة، ومنهم من يسمى نقله رواية، ومنهم من يسمى نقله طريقاً، ومنهم من يسمى نقله وجهاً<sup>(2)</sup>.

هذا، وقد أورد فضيلة الدكتور محمد بن عمر بازمول عدداً من تعاريف القراءات، وحاول أن يعرف القراءات تعريفاً يسلم مما لوحظ على تعريفات السابقين فعرّف علم القراءات بثلاثة تعريفات فقال: "تعريف القراءات كعلم مدون هو:

- مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى، في الحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

- أو: مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله من جهة اللغة والإعراب، والحذف والإثبات والفصل والوصل، من حيث النقل.

- أو: مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله<sup>(3)</sup>.

يلاحظ على التعريفين الأولين: اقتصارهما على مواضع الاختلاف، وأن التعريف الأول لم يصر عن الإسهاب فقد فصل بعض أوجه الاختلاف، ثم قال: وغير ذلك، فلم يكن لما فصله داع، وفي التعريف الثاني: حصر أوجه الاختلاف في اللغة الإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل، وفي رأبي أن هذا التعريف غير جامع، لأن أوجهه لا تنحصر فيما ذكره، فمنها المد والقصر، فإن قيل المد والقصر داخل في اللغة والإعراب، فكذلك الحذف والإثبات والفصل والوصل داخل في اللغة الإعراب، وأمّا التعريف الثالث فغير مانع من دخول علوم اللغة العربية كالنحو والصرف في تعريف علم القراءات.

(1) ينظر: البذور الزاهرة ص (7).

(2) ينظر: البذور الزاهرة ص (10).

(3) ينظر: القراءات وأثرها (112/1).



## المبحث الثاني

المقاصد القرآنية والقرآنية الواردة في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ﴾

### دراسة تطبيقية

صلة الأرحام مما دعا له الإسلام وحثّ عليه القرآن العظيم، وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي تناولت جوانب صلة الرحم فنجدها قد استوعبت جميع الجوانب مما يجعل المسلم يحرص كلّ الحرص على صلة أرحامه، ويدرك أنّ ذلك من متمّمات إيمانه ومكّمات إسلامه، وأنها من أهمّ السبل الموصلة لمرضات الله تعالى، وقد وردت نصوص قرآنية كثيرة تحثّ على صلة الرحم، والمحافظة على حقّها، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. [النساء:1]، فهذا ينبئ بوجود صلة الرحم، وأنه كما يجب القيام بحقّ الله تعالى بالتزام طاعته واجتناب معاصيه على أكمل وجه، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق فيما يتصل بالبرّ والإفضال والإحسان خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حقّ الله تعالى الذي أمر به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي: مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم (1)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله: أنا الله، وأنا الرّحمن، خلقت الرّحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته" (2).

وقبل الشروع في المقاصد القرآنية الواردة في الآية حريّ بي أن أبين معنى الرّحم، فأقول وبالله التوفيق.

**الرّحم في اللغة:** موضع تكوين الولد، ومن المجاز الرّحم القرابة، أي: تجمع بني أب، قاله الخليل الفراهيدي (3)، قال ابن فارس: "(رَحِمَ) الرّاء والحاء والميم أصل

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (2/5)، وتفسير القرآن العظيم (206/2)، وروح المعاني (481/9)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (163/1).

(2) أخرجه الترمذي في سننه باب: ما جاء في قطيعة الرحم (315/4) حديث (1907). وقال: حديث صحيح.

(3) ينظر: كتاب العين، مادة رحم (206/5).

— المقاصد القرآنيّة والقرايبيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

واحد يدلّ على الرقة والعطف والرافة، يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رقق له وتعطف عليه، إلى أن قال: والرحم علاقة القرابة<sup>(1)</sup>. قال ابن سيّدة: "الرحم أسباب القرابة، وأصلها الرحم التي هي منبت الولد"<sup>(2)</sup>.

وأما الرحم في الاصطلاح: فقد عرّفها الأزهري على: "أنّها تجمّع بني أب وبينهما رحم"<sup>(3)</sup>، وعرّفها القرطبي على أنّها: "اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره"<sup>(4)</sup> وكذا عن الإمام ابن حجر<sup>(5)</sup>، والشوكاني<sup>(6)</sup>.

وأما ابن الأثير فقد عرفها بتعريف جامع، فقال: "ذو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء، ويقال: ذو رحم محرّم ومحرّم، وهو من لا يحلّ نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة"<sup>(7)</sup>.

ويظهر مما سبق أنّ الرحم لغة: الرقة والعطف والرافة، ثم استعير اسم الرحم للقرابة؛ لأنّ الأقارب يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض، ويبيّن ذلك ما ورد في صلة الرحم أنّها: "كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بغدوا أو أسأؤوا، وقطع الرحم ضدّ ذلك كله، فكأنّه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر"<sup>(8)</sup>.

وقد ورد لفظ الرحم في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: بمعنى القرابة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ

اللَّهِ﴾ [الأنفال: 75] أي القرابة، والوجه الآخر "الرحم العامة"<sup>(9)</sup>.

كما تجدر الإشارة هنا إلى بيان أنواع الرحم، وهي على نوعين:

- (1) ينظر: مقاييس اللغة، مادة رحم (498/2).
- (2) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة حرف الراء (338/3).
- (3) ينظر: تهذيب اللغة، مادة حرف الراء (17/5).
- (4) الجامع لأحكام القرآن (11/3).
- (5) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (414/10).
- (6) فتح القدير (675/1).
- (7) ينظر: غريب الحديث (191/5).
- (8) ينظر: لسان العرب (728/11)، وصلة الأرحام في ضوء القرآن الكريم (ص205).
- (9) ينظر: الدراسات القرآنية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (134/15).

**فأما النوع الأول:** الرحم المُحرّم: وهي التي يكون فيها الرّحم قريباً فقد حرّم نكاحه أبداً؛ فالرّحم عبارة عن القرابة، والمحرم عبارة عن حرمة التناكح، وضابطه: كلّ شخصين بينهما قرابة لو فرض أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يحلّ لهما أن يتناكحا، كالأبَاء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأجداد والجَدات وإن علوا، والأولاد وأولادهم وإن نزلوا، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات.

**وأما النوع الثاني:** الرحم غير المحرّم: وهم من عدا الرحم المحرّم من الأرحام؛ كبنات الأعمام، وبنات العمات، وبنات الأخوال، وبنات الخالات(1).

ومعنى صلة الرحم وصلها، والوصل ضدّ القطع والهجران، قال ابن الأثير: "صلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم"(2).

وبعد ما سبق من التعريف بالرحم في اللغة والاصطلاح تجدر الإشارة إلى بيان المقاصد القرآنية الواردة في الآية.

### **المطلب الأول: المناسبات الواردة في الآية**

#### **أولاً: مناسبة الآية لما قبلها من الآيات**

لما ختم الله تعالى سورة آل عمران بوصية جامعة مانعة لعباده، بدأ في هذه الآية الكريمة بالتأكيد على تقواه سبحانه وتعالى، ثم أكد على عباده الذين أمرهم بالصبر، والمصابرة، والمرابطة، وتقواه سبحانه وتعالى، على المحافظة على الأرحام والعناية بها؛ لأنه يترتب على وصلها دوام البرّ والمحبة، وعلى قطيعتها الإثم والعدوان؛ لذا حثّ سبحانه وتعالى النفوس البشرية على الصبر، والمصابرة، والمرابطة، والتّقوى؛ لأجل المحافظة على هذه الأرحام.

وسورة النساء هي سورة الإنسانيّة، ففيها عيّن القرآن الكريم العلاقات الإنسانيّة التي تربط الناس بعضهم ببعض، وما ينبغي أن تنهجه المجتمعات الفاضلة في جعل العلاقة الإنسانيّة الأصلية تسير في مجراها الطبيعي الذي رسمه ربّ العالمين بمقتضى الفطرة، وفيها ما حدّه الله تعالى لعلاج الانحراف الذي ينحرف به ذوو الأهواء من الأحاد والجماعات(3).

قال برهان الدّين البقاعي - رحمه الله -: "لما تقرّر أمر الكتاب الجامع الذي هو

(1) ينظر المصدر السابق.

(2) ينظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر (191/5).

(3) ينظر: زهرة التفاسير (1563/3).

— المقاصد القرآنيّة والقرايبيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

الطريق، وثبت الأساس الحامل الذي هو التوحيد؛ احتيج إلى الاجتماع على ذلك، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع، والتواصل، والتعاطف، والتراحم، فابتدأت بالثناء العام لكلّ الناس، وذلك أنه لما كانت أمّهات الفضائل كما تبين في علم الأخلاق أربعا: العلم، والشجاعة، والعدل، والعفة، وكانت سورة آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنين منها، وهما: العلم، والشجاعة، كما أشير إلى ذلك في غير آية: ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكَتَبُ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَّنُوا أَصْرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وكانت قصة أحد قد أسفرت عن أيتام استشهد مورثوهم في حبّ الله تعالى، وكان من أمرهم في الجاهلية منع أمثالهم من الإرث جوراً عن سواء السبيل، وضلالاً عن أقوم الدليل؛ جاءت هذه السورة داعية إلى الفضيلتين الباقيتين، وهما: العفة، والعدل، مع تأكيد الخصلتين الأخريين حسبما تدعو إليه المناسبة، وذلك مثمر للتواصل بالإحسان، والتعاطف بإصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان، فـ: مقصودها الأعظم: الاجتماع على الدين بالافتداء بالكتاب المبين، وما أحسن ابتداءها بعموم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ بعد اختتام تلك بخصوص: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَّنُوا أَصْرُوا وَصَابِرُوا﴾<sup>(1)</sup>.

ثانياً: مناسبة مفردات الآية لبعضها

(1) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (171/5).

وجه تكرار التقوى في الآية، هو أمرين:

**الأول:** لتربية المهابة في النفس، ولتوكيد الطلب، ولأنّ مقام التقوى في الثاني غير مقام التقوى في الأول، فمقام التقوى في الأول هو مقام التقوى التي تتجلى في شكر الرب على ما أنعم، وبقيام الواجب نحو الخلق للصلة الجامعة الوثيقة، فهي تقوى الربوبية والإنعام، ومقام التقوى في الثاني تقوى الألوهية، ولذلك ذكر لفظ الجلالة الدالّ على كل معاني الألوهية، فهي تقوى العابد الخائف الراجي رحمته، والأولى تقوى الشاكر المحسن بجلائل الإنعام<sup>(1)</sup>.

**الثاني:** يدلّ على أنه قد يراد باللفظ الواحد المعاني المختلفة؛ لأنّ معنى تقوى الله مخالف لمعنى تقوى الأرحام، فتقوى الله إنما يكون بالالتزام طاعته واجتناب معاصيه، واتقاء الأرحام بأن توصل ولا تقطع فيما يتصلّ بالبر والإفضال والإحسان<sup>(2)</sup>.

**الثالث:** لما اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة من التكاليف، منها التعطف على الضعاف بأمور كانوا قد مروا على خلفها، فكانت في غاية المشقة على النفوس، وأذن بشدة الاهتمام بها، كرر وحثّ على التقوى<sup>(3)</sup>.

وجه ذكر (تساءلون به):

زيادة في الترغيب في تقواه، وتنبهها على كون تعظيمه منغرساً في قلوبنا، حتى نزرع إليه إذا سألنا<sup>(4)</sup>، ولما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصّف نفسه المقدسة

بما يشير إلى ذلك فقال: ﴿الَّذِي سَأَلُونَكَ﴾ أي يسأل بعضكم بعضاً به فإنه لا يسأل باسمه الشريف المقدس إلا الرحمة والبر والعطف<sup>(5)</sup>.

**وجه كون التقوى في الحقيقة من الله لا من الرحم:**

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اتقوا عقوبته على طريق الجملة، ثم قال: والأرحام، أي عقوبته في

قطع الأرحام، وخصّها بالذكر تعظيماً لأمرها، وكأنه قيل: اتقوا عقوبات الله عامة، وعقوبته في قطع الأرحام خاصة، وذلك لتعظيمه أمر الرحم<sup>(6)</sup>.

قال الزمخشري: "أراد بالتقوى تقوى خاصة، وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق

(1) ينظر: زهرة التفاسير (1565/3).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب (481/9).

(3) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (172/5).

(4) ينظر: الراغب الأصفهاني (1076/3).

(5) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (175/5).

(6) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (1076/3).

— المقاصد القرآنيّة والقرآنيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله، فقليل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم، حيث جعلكم صنواً مفرّغاً من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه، وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة (1).

### المطلب الثاني: التفسير والمعنى الإجمالي للآية

صلة الرحم من محاسن الأخلاق التي حثّ عليها الإسلام ودليل كمال الإيمان؛ ولذا كانت محل عناية القرآن الكريم، فنجد آياته تضمّنت حديثاً مستفيضاً أمراً بها، وتوبيهاً بشأنها وشأن أهلها.

وإنّ هذه الشريعة العظيمة نظّمت العلاقات بين الأسرة في نفسها أسرة الإنسان وقراباته بما شرع الله تعالى من صلة الرحم والتعاون فيما بين الأسرة حتى تكون مرتبطة.

فأمّر الناس جميعاً بتقواه بسبب ما أنعم عليهم من نعم على رأسها أنه خلقهم من أب واحد وهو آدم عليه السلام، ثم خلق زوجه من ضلعه الأيسر، وبتّ منهما الأمم من الرجال والنساء، وحيث إنهم كانوا يكثرّون الحلف به في عقودهم وعهودهم لتأكيدهما، فمن باب أولى أن يتقوه سبحانه ويتقوا قطع أرحامهم التي لا توصل إلا بهم (2)، عن قتادة رضي الله عنه: "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً"، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: اتقوا الله، وصلوا الأرحام، فإنه أبقى لكم في الدنيا، وخير لكم في الآخرة" (3)، وعنه عليه الصلاة والسلام: "الرَّحْمُ مُعَقِّبُ الْعَرْشِ شَقِيقُ مَنْوَصَلِيٍّ وَصَلَاةُ اللَّهِ، وَمَنْقَطُ عَنِيقِ اللَّهِ" (4).

وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي تناولت جوانب صلة الرحم نجدها قد استوعبت جميع الجوانب مما يجعل المسلم يحرص كل الحرص على صلة أرحامه، ويدرك أنّ ذلك من متمامات إيمانه ومكملات إسلامه، وأنها من أهم السبل الموصلة لمرضاة الله تعالى، ومن الآيات القرآنية التي تحدثت عن حقّ ذوي القربى قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا

اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي

(1) ينظر: الكشاف (462/1).

(2) تفسير القرآن العظيم (484/1) بتصرف.

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (432/1)، وكذا الطبري (521/7) كلاهما عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (424/2). قال الألباني: حديث ضعيف. الجامع الصغير وزيادته (1135).

(4) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (1981/4)، حديث: (2555).

الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْأَجْنَبِ ﴿النساء: 36﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وِبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴿البقرة: 83﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿النحل: 90﴾.

وقد دلت الآيات القرآنية أنّ صلة الأرحام من الله تعالى بمكان عظيم حيث قرنها باسمه، وباقتزائها به في الذكر وباقتزائها به عند السؤال باسم الله تعالى تأكيداً للحفاظ عليها، واتفق المسلمون على وجوبها، وتعظيم حقها، وتأكيد النهي عن قطعها، وأنها أثر من آثار التقوى المباركة، وعلامة من علامات تمكّنها من القلوب، ومما يزيد في وجوبها ما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: "إنّ الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته" (1)، والمعنى: أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله، وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة (2).

فالعلاقة بين العبد وربّه هي العبادة لله وحده، لا يشرك به أحداً، وأمّا العلاقة بينه وبين الناس فهي الإحسان، وأول من يجب له الإحسان الوالدان، ثم الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى أيّاً كانوا؛ لأنهم إن أهملوا تربّت بينهم وبين المجتمع روح العداوة (3)، فكما حثّت الشريعة ودعت لصلتها توعدت من قطعها ولم يؤدّ حقوقها، قال تعالى: ﴿

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴿محمد 22- 23﴾، والمعنى: فهل عسيتم إن أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه أن تعودوا إلى جاهليّتكم الأولى من الإفساد في الأرض وقتل بعضكم بعضاً، وتقطيع الأرحام بينكم تناصراً على الباطل، وتهالكاً على الدنيا، فإنه ضعفكم في الدين، ثم أشار بقوله (أُولَئِكَ) للمخاطبين في قوله تعالى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بأسلوب الانفتاح تحقيراً لشأنهم، وحكاية لفظائع أحوالهم، أولئك المذكورون أنفاً لعنهم الله فطردهم من رحمته، وأبعدهم عن مغفرته.

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من وصل الله وصله (6/8)، حديث: (5088).

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (418/10)، وما بعدها.

(3) ينظر: زهرة التفاسير (1565/3).

— المقاصد القرآنيّة والقرايبيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

فجعل قطيعة الرحم من أسباب الإعراض عن القرآن الكريم وأحكامه، ثم ذمهم لما يشيع بين كثير من الناس من جفائها، فرتب على ذلك لعنهم وطردهم من رحمته. والوصل من الله تعالى كناية عن عظيم إحسانه، وإنما خاطب الناس بما يفقهون، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى عرف أنّ ذلك كناية عن عظيم إحسانه ليعبده وكذا القول في القطع هو كناية عن حرمان الإحسان(1).

وفي ذلك تأكيد على أمر صلة الرحم وأنّ الله تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته وإذا كان كذلك فجار الله غير مخذول(2). ومن خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تبيّن لنا تعظيم أمر الرحم وأنّ صلّتها واجبة، فهي امتثال لأمر الله تعالى ومن أحبّ الأعمال إلى الله؛ لأنها من آثار التوحيد، ولذلك قرنت به في الذكر فيجب أن تكون أعماله مقصودة بها وجه الله تعالى ابتغاء لمرضاته والفوز بجنته.

#### المطلب الثالث: القراءات القرآنية الواردة في الآية وتوجيهها

قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ﴾، قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف أي بتخفيف السين (تساءلون)، وقرأ الباقر: (تساءلون) بالتشديد بمعنى: تساءلون ثم أدغمت إحدى التاءين في السين فجعلت سينا مشددة(3).

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾، قرأ الجمهور بنصب الميم (الأرحام)، وقرأ حمزة بخفض الميم (الأرحام)(4).

وقراءة النصب: على عطف الأرحام على لفظ الجلالة، فيكون المعنى: اتقوا الله، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بزوها وصلوها، وأما قراءة الخفض فهي تعني: اتقوا الأرحام التي تتعاقدون بها بقولكم: أسأله الله والرحم. وبذلك أنكر البصريون هذا، وليس بمنكر؛ لأنّ الأئمة أسندوا قراءتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنكروا أيضاً أنّ الظاهر لا يعطف على مضمرة المجرور إلا بإظهار

(1) المرجع السابق (418/10).

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله (418/10)، حديث: (5641).

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر (247/3).

(4) النشر في القراءات العشر (247/2)، التيسير في القراءات السبع، ص (18).



الخافض، وليس بمنكر، وإنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمّر الذي لم يجر له ذكر. فأما أن يتقدم للهاء ذكر فهو حسن، فكذلك الهاء في قوله (تساءلون به)، والقراءتان في الحقيقة تصيّر الكلمة كلمتين، فإما أن تكون كل قراءة تبيّناً للأخرى، وإما أن تكون القراءة الثانية جاءت بمعنى جديد، وهنا القراءتان كل واحدة جاءت بمعنى جديد، فقراءة النصب فيها الأمر باتقاء الأرحام؛ أي: اتقاء التفريط في حقهم، والقراءة الثانية فيها التذكير بأن الناس يتساءلون بالأرحام، ولم يتساءلوا بها إلا لعظم حقها بينهم<sup>(1)</sup>.

### نستخلص: في توجيهها أربعة أوجه: (والأرحام)

**الأول:** وهو الظاهر، أنه معطوف على الضمير المجرور أي الهاء في (به) من غير إعادة الجارّ، وعلى هذا فسرّها الحسن والنخعي ومجاهد، ويؤيده قراءة عبد الله: وبالأرحام- وكانوا يناشدون بذكر الله والرحم، يقول الرجل: سألتك بالله والرحم. **الثاني:** أنه مجرور بباء مقدره، أي: تساءلون به و(ب) الأرحام، وحذف حرف الجرّ للعلم به، ولتقدم ذكره، وإليه ذهب ابن جنبي، ونحوه قولهم: بمنّ تمرر أمرزّ وعلى ما تنزل أنزل ولم يقولوا: أمرز (به) ولا: أنزل (عليه)<sup>(2)</sup> فقد حذفوا الجار والمجرور للعلم بهما، ولدلالة ما قبلهما عليهما، وعلى هذين الوجهين يكون المعنى -والله تعالى أعلم: اتقوا الله الذي من تعظيم كمله أنكم تتساءلون به، فسؤالكم به العلى تعظيم كملهم موجباً لانتقوه، إذا كان كذل كفاً الأرحام التي يتساءلون تعظيماً لها فإن ذلك موجب أيضاً لأن تنقوها فتؤدوا حقها وتصلوها ولا تقطعوها فيكون في كلا القراءتين بتقدير، قال أبو شامة: قراءة النصب على تقدير: واتقوا الأرحام التي تساءلون بها فحذف استغناء بما قبله عنه، وفي قراءة الخفض حذف واتقوا الأرحام، ونبه بأنهم يتساءلون بها على ذلك<sup>(3)</sup>، وعلى هذين الوجهين من توجيه القراءة بالجر يكون الوقف عليها والابتداء بما بعدها<sup>(4)</sup>. قال ابن عاشور -رحمها الله-: عنقراءة حمزة فتكون تعريضاً بعوائد الجاهلية؛ إذ يتساءلون بينهم بالرحم وأواصر القرابة ثم يهملون حقوقها ولا يصلونها ويعتدون على الأيتام من إخوتهم وأبناء أعمامهم فناقضت أفعالهم وأقوالهم، وأيضاً هم قد آذوا النبي صلى الله عليه وسلم وظلموه وهو من ذوي رحمهم

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، سورة النساء (15/1).

(2) ينظر: الخصائص (248/1).

(3) ينظر: إبراز المعاني، ص (410).

(4) ينظر: منار الهدى، ص (203-202).

— المقاصد القرآنيّة والقرايبيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

وأحق الناس بصلتهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23]، وعلى قراءة حمزة يكون معنى الآية تنمة لمعنى التي قبلها(1).

الثالث: أنه مجرور على القسم، فالواو للقسم، واختلف في المقسم به: فقيل إنه الأرحام، وهو الظاهر، وقيل: على تقدير: ورب الأرحام، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه(2)، وعلى هذا الوجه يكون الوقف على (الأرحام) كافياً ولا يوقف معه وعلى هذا يكون الوقف على (به) تاماً ثم يبدأ بقوله: (والأرحام)؛ لأنّ القسم موضع استئناف(3) لأنّ قراءة النصب وقراءة ابن مسعود بالياء (وبالأرحام) مصرحتان بالأرحام على ما قررناه(4).

الرابع: قيل: معناه: واتقوه في الأرحام أن تقطعوها(5) وقد تكلم في هذه القراءة قديماً بعض النحاة وغيرهم \_ غفر الله لهم \_ وقد اعترضوا عليها من جهتين من جهة النحو، ومن جهة المعنى، فمن جهة النحو قالوا: لا يجوز عطف الاسم الظاهر وهو هنا (الأرحام) على الضمير المجرور، وهو هنا الهاء في (به) إلا بعد إعادة الخافض (أي) به بالأرحام(6). وعللوا ذلك بما يلي:

- قالوا: اتصال الضمير المجرور بالحرف أشدّ من اتصال الفاعل بالفعل؛ لأنهما

(1) ينظر: التحرير والتنوير (218/4).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (1670/2).

(3) ينظر: المكتفي، ص (69)، وأحسن الأخبار، ص (335).

(4) ينظر: إبراز المعاني، ص (411-412).

(5) ذكر هذا الوجه ابن خالويه في الحجة، ص (119).

(6) ينظر: معاني القرآن (6/2).

كالكلمة الواحدة، وليس للمجرور متصل يؤكد به كالمرفوع فأعيد الجار، ووجه الاتصال أنّ ضمير الجر منزل منزلة المضاف إليه، والمضاف إليه معاقب للتنوين، والتنوين بعض الكلمة، وبعض الكلمة لا يصلح للعطف عليه، ولذلك لم يفصل بينهما، فأعيد الخافض ليكون المعطوف كالمستقل بنفسه، ذهب الجرمي والزيادي إلى الجواز<sup>(1)</sup>.

- وعللوا أيضاً بأن قالوا الثاني في باب العطف شريك للأول، وحق الشريكين أن يصلح كل واحد منهما لأن يحل محل الآخر، وضمير الجر غير صالح حلولة محل المعطوف عليه، فكما لم يُجر: مررت بزيد وكلهم، لم يُجر: مررت بك وزيد.

- قالوا: ولم يجيء ذلك إلا في الشعر والشعر موضع ضرورة انتهى قولهم، وفيه نظر، قال الدكتور عبد القادر الصيني: وقد منع البصريون أي العطف المذكور من غير إعادة الجار وذلك لوروده في التنزيل كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الْذِي سَاءَ لُونٌ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ﴾ بالجر [النساء:1] ولا ينظر إلى ذلك منهم؛ لأنّ قواعدهم قائمة على حجج

نظرية، والعربية كغيرها من اللغات الأخرى لا تقيمها القواعد والحجج النظرية، وإنما هي عبارة عن استعمالها من قبل الناطقين بها<sup>(2)</sup> وليست هي مجرد نظريات متكلفة قائمة على التقدير والتأويل<sup>(3)</sup> أمّا حملهم إياه على المرفوع ولا منفصل للمجرور فلا يلزم؛ لأنّ المرفوع إنّما ينزل منزلة الجزء لاستتاره في الفعل، بخلاف المجرور ولو امتنع في المجرور بهذا التعليل لامتنع في المنصوب نحو: رأيتك وزيداً، وهو جائز باتفاقهم، وقد جاز عطف الاسم الظاهر (زيداً) على الضمير المنصوب (الكاف) فالمجرور كذلك، مع أنّ إعادة الجار لا تغني عن تأكيد المرفوع؛ لأنّ حلول الشيء محل غيره على غير وجه النيابة لا يعطيه شيئاً من أحكامه، وأمّا تنزيلهم إياه منزلة التنوين فغير جيد؛ لأنه لو كان بمنزلة التنوين لم يجز العطف عليه البتة؛ لأنّ التنوين لا يعطف عليه، ولم يجز الإبدال منه، ولم يجز تأكيده، وكلاهما جائز بالاتفاق<sup>(4)</sup>. قال ابن مالك عن جواز العطف: والجواز أصحُّ من المنع؛ لضعف

(1) نسبته للفراء من شرح الأشموني (430/2).

(2) ذكر نطق العرب بذلك العطف.

(3) قرأ بالجر حمزة، وقرأ بقية السبعة بالنصب، أي ما انفرد به كل من القراء السبعة، ص(92)،

الانصاف (5/62)، المبسوط (ص175)، العناية ص(132).

(4) أحاسن الأخبار، ص(327-329).

— المقاصد القرآنيّة والقُرآنيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تسالطون به والأرحام) —

احتجاج المانعين، وصحة استعماله نثرًا ونظمًا<sup>(1)</sup>، وقال أبو شامة: وكل ما يُذكر من أسباب المنع فموجود في الضمير المنصوب مثله، وقد أجازوا العطف عليه، فالمجرور كذلك قياسًا صحيحًا<sup>(2)</sup> وعطف الاسم الظاهر على الضمير والمجرور من غير إعادة الجار جاز عند جمهور الكوفيين وعند يونس والأخفش وقطرب وتبعهم الأستاذ أبو علي الشلوبيين وابن مالك وأبو حيان والسمين الحلبي وابن هشام وابن القيم ومعظم المتأخرين، وقال السمين: والذي ينبغي أنه يجوز مطلقًا؛ لكثرة السماع الوارد به وضعف دليل المانعين واعتضاده بالقياس<sup>(3)</sup>، وقال ابن القيم: ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار على المذهب المختار، وشواهد كثيرة، وشبه المنع منه واهية<sup>(4)</sup>، وقال الألوسي: وما ذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين، ولسنا متعددين بإتباعهم<sup>(5)</sup>.

والذي يبدو لي أنّ (الأرحام) بالجر معطوفة على الضمير المجرور في (به) مباشرة، أو أن الجار مُقدّر، والأول أولى؛ لأنّ ما لا يحتاج على تأويل أولى مما يحتاج إليه ولثبوته بالقرآن الكريم وشواهد العرب، قال ابن خالويه: "وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا ولا عرفوا إضمار الخافض فقد عرفه غيرهم"<sup>(6)</sup>.

#### المطلب الرابع: المقاصد القرآنيّة والقُرآنيّة الواردة في الآية

عظم شأن التقوى وأهميتها، فقد تكرّر ذكرها في مفتتح الآية وختامها، وهذا دليل على أهميتها وحثّ للمؤمنين عليها ولزومها، وأن الإنسان إذا وفق لتقوى الله صلحت أموره الدينية والدنيوية.

اتفاق الملة على وجوب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حقّ الله تعالى الذي أمر به، كما تدلّ قراءة النصب على تقدير (والأرحام فاحفظوها وصلوها).

التساؤل بالله وبالأرحام، مثل أن يقال: بالله أسألك، وبالله أشفع إليك، وبالله أحلف عليك، إلى غير ذلك مما يؤكد المرء به مراده بمسألة الغير، ويستعطف ذلك الغير في التماس حقّه منه، أو نواله ومعونته ونصرته، كما تدل عليه قراءة الخفض.

(1) شواهد التوضيح، ص (107-108).

(2) ينظر: إبراز المعاني، ص (412).

(3) ينظر: الدر المصون (530/1)، وينظر: البحر المحيط (387/2).

(4) ينظر: زاد المعاد (35/1).

(5) ينظر: روح المعاني (184/4).

(6) ينظر: الحجة لابن خالويه، ص (119).

صلة الأرحام باب لكل خير فتزيد في العمر وتبارك في الرزق، قال صلى الله عليه وسلم "من سرّه أن يبسط له رزقه، أو ينسأل هنيئاً أثره فليصل رحمه" (1).

قرن سبحانه الأمر بتقواه بالأمر ببرّ الأرحام والنهي عن قطيعتها؛ ليؤكّد هذا الحقّ، وأنه كما يلزم القيام بحق الله تعالى كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حقّ الله الذي أمر به (2).

الأرحام هنا هي كلّ الصلات الإنسانية التي وصل بها بين الخلق بخلقهم من نفس واحدة، وبالأولى تدخل الأرحام الخاصة، والقرابات القريبة (3).

كلّ آية زعم النحاة أنها شاذة: إنه ليس في القرآن شيء شاذ، بل كل ما في القرآن فهو على اللغة الفصحى بلسان عربي مبين، ويجب أن تؤخذ القواعد من القرآن ليحكم بها وعليها، لا أن تؤخذ القواعد مؤصّلة باصطلاحات حادثة ثم يقال: إن القرآن شاذ (4).

وأما المقاصد القرآنية من القراءات الواردة فهي كما يلي:

- أفادت القراءة الأولى (تساءلون) بالتخفيف: بأنّ الله تعالى أمر الناس بتقواه بما له من شأن في نفوسهم؛ إذ كانوا يعاقدون ويعاهدون به، في حين بينت القراءة الثانية صورة من الصور التي كان يحدث بها ذلك التعاقد، بأنهم كانوا يقولون في تعاقدهم وتعاهدهم: أسألك بالله والرحم، ويمكن أن تكون قراءة التخفيف من باب الحلف أو الاستحلاف، وهو أدنى درجات التعاقد والتواتق، والتشديد هو أشدّ الدرجات وما بينهما من باب أولى، ولذلك فإنّ القراءتين لا تغني إحداهما عن الأخرى؛ لأنهما بيّنتا جميع درجات التعاقد والتواتق من الأدنى بقراءة التخفيف إلى الأعلى بقراءة التشديد، كما أنّ قراءة التشديد توحى بالتشديد في إنفاذ العقود الموثّقة، عن طريق الحلف بالله تعالى، لما للمحلف به من شأن في نفوس المتعاقدين، أما قراءة التخفيف فهي توحى بضرورة الإسراع في إنفاذ العقود، والمدّ الثابت في القراءتين الواردة هو ما أجمع عليه القراء في مده، ومعناه: إطالة زمن الصوت بحرف المد، ويوحى: بإكثار الناس وإطالتهم بالحلف بالله تعالى؛ لذا جاء التوجيه بالآية بتقوى الله، وتكرار الأمر في ذلك، فكأنه أراد القول: كما أنكم تكثرون الحلف بالله وبالرحم،

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم (5/8)، حديث: (5985).

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (163).

(3) ينظر: زهرة التفاسير (1578/3).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، سورة النساء (16/1).

— المقاصد القرآنيّة والقرائيّة الواردة في قول الله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) —

توثيقاً لعهودكم فالأولى أن تتقوه في كل شئون حياتكم وخاصة الأرحام وفي أموال اليتامى وفي ميراث النساء.

- لقد بيّن سبحانه أنّ من لوازم تقواه برّ الأرحام والمحافظة على صلته التي نحن وإياها من أصل واحد، وأداء حقوقهم، وعدم قطعها، والسعي إلى إيصال الخير إلى الأقارب، سواء كان بالمال أو بالنصيحة أو بطلاقة الوجه أو بغير ذلك على حسب حاله ودفع الشر عنهم وعدم الإساءة إليهم بأيّ إساءة قولاً كانت أو عملاً، فبالتواصل تسود المحبة والتعاون والعطف والإخاء وهو ما أفادته قراءة النصب (والأرحام)<sup>(1)</sup>، وأمّا قراءة الخفض (والأرحام) فهي تبيّن قيمة الرحم عند الناس؛ حيث يتساءلون بها ويستعطف بعضهم بعضاً بها، ويطلبون حقوقهم بها، وتبين ما كانوا عليه من الحلف بالرحم في عقودهم، ومعاهداتهم، ومباغتهم في ذلك، وليس ذلك إقراراً لهم فقد حرّم الإسلام ذلك، ولكن بيّنت القراءة ذلك على سبيل الوصف، وبذلك نرى أنّ قراءة الخفض وصفت ما كانوا عليه، في حين أنّ قراءة النصب بيّنت ما ينبغي أن يكونوا عليه، واتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو على محل (به) كقولك: مررت به زديداً، وهو من عطف الخاص على العام، على أن يكون المعنى: اتقوا مخالفتها وقطع الأرحام فيها، فنبه الله تعالى بذلك وقرن الأرحام باسمه تعالى على أنّ صلته يمكن منه، والتقدير: اتقوا الله واتقوا الأرحام، أيّ حق الأرحام فصلوها ولا تقطعوها.<sup>(2)</sup>

قال ابن عاشور. رحمه الله "فعلى قراءة الجمهور يكون الأرحام مأموراً بتقواها على

المعنى المصدرية، أي: اتقائها، وهو على حذف مضاف، أي: اتقاء حقوقها، وعلى قراءة حمزة يكون تعظيماً لشأن الأرحام، أي: التي يسأل بعضكم بعضاً بها<sup>(3)</sup>.

### الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على نبي الأنام، وعلى آله وصحبه الأئمة الأعلام.

وبعد أن يسر الله تعالى لي بعونه وفضله إتمام هذا البحث، وهو: المقاصد القرآنية والقرائية الواردة في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، أذكر أهم

(1) ينظر: حجة القراءات ص (198).

(2) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها (127/1-128)، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة (292/1)، الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص (402).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (217/2-218)، فتح الوسيط في شرح القصيد (817/3-819).

النتائج التي توصلت إليها وهي كما يلي:  
- أهمية علم المقاصد القرآنية وارتباطها بعلم القراءات.  
- إنَّ القرآن العظيم بتعدد آياته في الموضوع الواحد، وتنوع قراءاته فإنه يستوعب كل أنواع الصلّة والأرحام بين الناس جميعاً.  
- إنَّ استخراج المقاصد القرآنية وما تناولته الآية من القراءات المتنوعة، وتوظيفها وفق الضوابط والقواعد السليمة؛ لم يحظْ باهتمام واسع؛ فمن أمعن النظر فيها فإنه سيجدُ ما يكفي من الموضوعات المهمّة في حياة الفرد في إيمانه وسلوكه وعلاقاته والتي منها صلّة الأرحام.  
وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبیبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم